

مع لبنان وليس ضد سوريا

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنقبة العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

خلال زيارة وزير الخارجية السوري لكندا الأسبوع الماضي طرح علينا العديد من أبناء الجالية السؤال التالي: لماذا تعارضون سوريا باستمرار وتساوون وجودها في لبنان بالاحتلال الإسرائيلي، ولماذا لا تماشون الوضع كما يفعل الباقون؟ أما جوابنا فهو على حاله لم يتغير منذ أن رأي التيار الوطني الحر النور، ولن يتغير إلا إذا زالت أسباب معارضتنا وانسحبت سوريا من لبنان. إن موقف التيار مبني على ثوابت وطنية لا مجال لنقضها وإلا فقد التيار ذاته وأصبح عدواً لنفسه وشعبه كما أصبح حال الذين غيروا مواقفهم وتخلوا عن ثوابتهم وخانوا دم الشهداء وتحولوا من مقاومين إلى مطبلين و "زقيفي".

لمن يهمة الأمر نكرر ونقول إننا لا نعارض سوريا في سوريا وإنما في لبنان وبأرقي الوسائل الحضارية السلمية وضمن الأطر التي كفلها لنا الدستور اللبناني من حريات للتعبير عن الرأي، هذا رغم كل ما نتعرض له من قبلها ومن قبل أدواتها من تنكيل واضطهاد واعتقالات واستفراء وإبعاد وتعديات وتجنبي ما بعده تجنبي وعلى كافة الأصعدة.

لقد طالب العماد عون ومنذ أن كان في موقع المسؤولية الرسمية ومن قصر بعدا بالذات بأفضل العلاقات مع سوريا ولكن في أطر الاحترام المتبادل ومن موقع التكافؤ، علاقات شقيق مع شقيقه دون هيمنة و"استكراد" أو تدخل بشؤون لبنان الداخلية من حريات وديموغرافية واقتصاد وثقافة وهوية وغيرها. إن التيار يده ممدودة وقلبه مفتوح لسوريا وغير سوريا باستمرار كما أن خطاب التيار لم يتغير ولن يتغير وهو باقٍ على ثوابته الوطنية. إنه منفتح على الحوار مع أي كان وخصوصاً مع سوريا الجارة والشقيقة لكن لا مجال للمحاورة مع أي جهة ومع سوريا تحديداً على سيادة واستقلال وحدود ونظام لبنان وهويته وفرادته وكرامة شعبه.

إن قائد التيار العماد عون قال سنة ١٩٨٨ ويوم كانت القنابل السورية تتساقط على اللبنانيين من كل حدب وصوب، "إننا نؤمن بلبنان ينتمي إلى محيطه العربي تاريخياً ويكون رسول تفاعل حضاري ما بين محيطه والعالم الأوسع. نؤمن بلبنان واحد، كلي السيادة والاستقلال، لا شريك له في أرضه ولا وصي على قراره ولا رقيب على حرته، لبنان سيد يتعاطى مع الآخرين من خلال المصالح المشتركة على نفس القدر من المساواة ويرفض إشراكهم في مصالحه وقراراته وأرضه."

أن معارضتنا للدور السوري المهيمن على لبنان لا تعني بأي شكل من الأشكال العداء للشعب السوري وهو شعب شقيق وجار تجمعنا به أوثق الروابط من مصير وقربة وتاريخ وحضارة، إلا أننا نرفض مقولة أننا شعبٌ واحد في بلدين لأننا نرفض الذوبان والصهر والقهر. إننا شعبين وفي بلدين تماما كما هو حالنا وحال سوريا مع الأردن ومصر والكويت والعراق وباقي الدول العربية. لنا كياناتنا ولنا هويتنا ولنا خصوصياتنا وتاريخنا وفرادتنا كما لباقي الدول وفي مقدمها سوريا.

أننا بالواقع لا نعارض سوريا في سوريا، ولا نتدخل بأي شأن سوري وما نتمناه من خير لوطننا وشعبنا نتمناه لسوريا ولشعبها. إلا أننا ندافع عن حقنا في بلدنا وعلى أرضنا ونظهر الممارسات وننتقد المواقف التي تطاولنا في صميم كرامتنا وهويتنا وحریتنا واستقلالنا وسيادتنا وجدورنا ومصيرنا وأيضاً في لبنان وليس في سوريا. إننا لا نعتقد ولا للحظة واحدة أن الشعب السوري كان سيقبل ويرضخ للأمر الواقع المفروض على شعبنا لو أن الأدوار كانت معكوسة ولبنان هو الذي يحتل "لا سمح الله" سوريا ويهيمن على قرارها ويستنزف طاقاتها ويهجر شعبها وينكل بقياداتها سجنًا وإبعاداً وعزلاً ويضطهد شبابها ويدمر اقتصادها ويشرد مزارعيها ويففل مصانعها ويبقي جنوبها جرحاً نازفاً.

إن الاحتلال احتلال مهما زين وجُمِّلَ أكان من قبل عدو أم صديق أم شقيق لا فرق. وما تمارسه سوريا في لبنان منذ العام ١٩٩٠ تحديداً قد استوفي كافة مقومات الاستعمار والاحتلال في آن. أما تلازم المسارين في عملية التفاوض مع إسرائيل فالتيار كان وما زال في مقدمة المؤيدين له بل من المصرين عليه، تلازم في توقيع معاهدة السلام النهائية مع إسرائيل، ولبنان لا يجب أن يوقع هكذا معاهدة إلا بعد أن توقعها سوريا. أما ربط المسارين وخط القرارات الدولية ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٥٢٠ بالقرارين الدوليين الخاصين بالجبهات العربية والجولان، ٢٤٢، و ٣٣٨ ومنع تحرير الجنوب قبل تحرير الجولان فهذا ما يعارضه التيار. أما إن كان لا بد من تساوي فليكن شاملاً وعادلاً ولنتساوى المقاومات وتُفتح جبهة الجولان كما هي حال جبهة الجنوب أو لتقف الجبهتان معاً وعندها من سواك بنفسه ما ظلمك.

إننا مع لبنان، ومع لبنان السيد الحر المستقل، ولسنا ضد سوريا في سوريا وإنما في لبنان، إن موافقنا ثابتة وواضحة وعلنية وهي لن تتبدل مهما اشتدت الصعاب ومهما زاد الاضطهاد ومهما غلت التضحيات. إن كل ما نرجوه هو أن تعي القيادة السورية حقيقة مشاعر اللبنانيين هذه وتتعامل معهم كأشقاء وحلفاء وليس كتابعين ويومها تزول معارضتنا لها.

عشتم وعاش لبنان الحر السيد المستقل